

## جمال الألوان ودورها في إيضاح دلالة النص من خلال ديواني (أغنية العاشق وبعد الحرب) للشاعر حسن صالح دراسة أسلوبية

أ. سهام عامر إمحمد الشعباني - كلية التربية الزاوية - جامعة الزاوية .

### الملخص :

كان عنوان هذه الدراسة (جمال الألوان ودورها في إيضاح دلالة النص من خلال ديواني أغنية العاشق وبعد الحرب للشاعر حسن صالح). وقد تنبّه الإنسان منذ القدم إلى نعمة الألوان وأثرها الكبير في حياته، والتي تعدّ أحد المميزات الأساسية لتجسيد الفوارق والاختلافات بين الأشياء. ولقد ظهرت عدة ألوان في قصائد حسن صالح الشعرية في ديوانيه (أغنية العاشق وبعد الحرب) منها: اللون الأسود، والأحمر، والأبيض، والأصفر، والأخضر. والهدف الرئيس من اختيار هذه الدراسة هو الكشف عن ملكة الشاعر اللغوية، ومدى قدرته على التعبير عن الواقع المعاش من خلال الألوان. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، أنّ اللون من أهم ظواهر الطبيعة وأجملها، ومن أهم العناصر التي تشكّل الصورة الفنية؛ لما يشتمل عليه من دلالات فنية ونفسية واجتماعية ورمزية، ولا بد من ربط اللون بسياق النص الشعري؛ حتى يؤدي وظيفته.

#### Search title:

The beauty of colors and their role in clarifying the significance of the text through my diwani (The Lover's Song and After the War) For the poet Hassan Saleh.

Stylistic study Preparation

a .Siham Amer Mohammed Al- Shaabani

Academic degree: Assistant Lecturer

Member of the teaching staff at the College of Education, Al-Zawiya

Department of Arabic Language (Literary Studies).

#### Study summary:

The title of this study was (The beauty of colors and their role in clarifying the significance of the text through the Diwani of the Song of the Lover and after the war by the poet Hassan Salih). Since ancient times, man has been alerted to the grace of colors and their great impact on his life, which is one of the basic characteristics of embodying the differences and differences between things . Several colors appeared in Hassan Salih's poems in his collections (The Lover's Song and After the War), including: black, red, white, yellow, and green .The main objective of selecting this study is to reveal the poet's linguistic ability, and his ability to express the lived reality through colors .Among the most important

findings of the study is that color is one of the most important and beautiful phenomena of nature, and one of the most important elements that make up the artistic image, because of the artistic, psychological, social and symbolic connotations it contains, and color must be linked to the context of the poetic text; so that it does its job.

## المقدمة:

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من بعثه الله للمسلمين، وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## وبعد:

وقد كان عنوان هذه الدراسة (جمال الألوان ودورها في إيضاح دلالة النص في ديوانية أغنية العاشق وبعد الحرب للشاعر حسن صالح) دراسة أسلوبية. والسبب الرئيس لاختيار هذا الموضوع هو الكشف عن أحد المعالم الجمالية في شعر الشاعر الليبي حسن صالح، والمتمثل في جمال الألوان ودلالاتها في النص الشعري.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الذي يناسب جميع أبعادها. وكان الهدف الرئيس لهذه الدراسة هو الكشف عن ملكة الشاعر اللغوية، ومدى قدرته على التعبير عن الواقع المعاش من خلال الألوان.

وتتمثل مشكلة الدراسة في أنها تحاول أن تجيب على التساؤلات الآتية:

- ما الألوان التي وظفها الشاعر حسن صالح في شعره؟ وهل التزم الشاعر بلون واحد أم تعددت الألوان عنده؟ وهل كانت ألوانه المستخدمة صريحة أم ضمنية؟ وقد قسمت الدراسة إلى مدخل يهيئ أرضية الدراسة، وخمسة محاور على النحو الآتي: المحور الأول: اللون الأسود، والمحور الثاني: اللون الأحمر، والمحور الثالث: اللون الأبيض، والمحور الرابع: اللون الأصفر، والمحور الخامس: اللون الأخضر. ودُيِّلت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج.

## مدخل:

تنبه الإنسان منذ القدم إلى نعمة الألوان وأثرها الكبير في حياته، والتي تعدّ أحد المميزات الأساسية لتجسيم الفوارق والاختلافات بين الأشياء، واستخدم الشاعر حسن صالح عددًا من الألوان في قصائده، لما للون من دلالة جمالية في الشعر، وكانت مفردات اللون عنده "تكتسب أهمية خاصة حيث تكشف عن طبيعة تعامله مع عالمه المحيط، وواقعه الاجتماعي والسياسي"<sup>(1)</sup>، وظهرت عدة ألوان في قصائد حسن

صالح الشعرية في ديوانيه منها: اللون الأسود، والأحمر، والأبيض، والأصفر، والأخضر، والتي تمثل محاور رئيسة في هذه الدراسة.

### أولاً - اللون الأسود :

وقد "استخدم العرب للدلالة على السواد عشرات الكلمات، منها ما يدل على مجرد اللون ومنها ما يدل على المبالغة والشدة، ومنها ما يرتبط بموصوف معين، ومنها ما يشير إلى لون آخر اختلط بالسواد، كما أنهم وصفوا السواد بمجموعة من الصفات ترتبط به وحده، أو به مع غيره"<sup>(2)</sup>.

وهناك عدة ألفاظ في اللغة دلّت على اللون الأسود، وهي في الأغلب ضد الجمال، وكل ما هو سيء، ووصفوا تدرجه بـ"أسود حالك للمبالغة في السواد، وكذلك أسود أحم وفاحم وقاتم وغريب وخذاري ودجوي..."<sup>(3)</sup>، وفي مواضع أخرى يُعطي اللون الأسود دلالة ذات معنى مغايراً لدلالة التشاؤم والألم واليأس، كأن يصف بهما لون العينين مثلاً.

ويتكرر اللون الأسود في شعر حسن صالح بمعانٍ مختلفةٍ ودلالاتٍ متنوعةٍ حسب السياق الذي يشتمل عليه، أبرزها لون عيني محبوبته التي وردت في قصيدته المعنونة بـ(إلى حبيبة نائية):

حبيبتي لأتني أهواك

أشتاق أن أبحر في سكون

أديم عينيك، وأن أراك

أشتاق أن أهيم

في غابة سوداء

تزرعها عيناك<sup>(4)</sup>.

جعل الشاعر في هذا المقطع الشعري دلالة اللون الأسود ذات المعنى الإيجابي الذي يدل على سواد عيني الحبيبة، وقد شبه كبير حجم عينيها وشدة سوادها بالغابة السوداء.

ويقول صالح في قصيدة (الشارع الميت):

الشارع، يغسله صوت قاتل

وظلال سود لحراب جوعي

تعبره، تلمع كلسان الأفعى

وشريد يمشي بتناقل

يقضم خبز التنور  
وصببية في يدها عصفور  
وعلى الخدين جدائل  
شعر مضافور(5).

يصف الشاعر هنا حالة أحد شوارع الجزائر قبل اندلاع الثورة، وكانت دلالة اللون الأسود هنا ذات المعنى السلبي، إذ يصف الشاعر من خلال هذا اللون حالة الفقر والجوع الذي يعانيه شعب الجزائر، وكان اللون الأسود في هذه القصيدة لون الخوف من المجهول عندما وظّف الشاعر (وظلال سود) دلالة على شدة الجوع الذي ألمّ بهذا الشعب، ويؤكد ذلك قوله من ذات القصيدة:

وهناك عبر رصيف مغبر  
والشارع يغسله صمت قاتل  
ينمطى قط أسود، يمشي بتناقل  
ينظر في خيفه  
نحو الجاسوس القابع في مقهى  
تننًا منبودًا كالجيفه(6).

جعل الشاعر من استحضار اللون الأسود في القصيدة دلالة على النظرة التشاؤمية والخوف من المجهول، وازداد تأكيد المعنى عند إسناد هذا اللون للقط، ومن المتعارف عليه أنّ القط الأسود نذير شؤم، ويقول حسن صالح في قصيدته المعنونة بـ(أغنية محارب قديم):

حملنا البنادق في أمسنا  
وفاضت بنا الأرض والأنجد  
وسالت دماء على أرضنا  
يجود بها الشيخ والأمرد  
لكي لا تظل تماثيلهم  
يخرلها الشعب أو يسجد  
لكي لا تعود لفاشية  
ظلال، ولا أمسها الأسود  
ولكن لينجاب ليل الأسي  
وشمس ربيعية تولد (7)

يدل اللون الأسود في هذه القصيدة على الفقر والجوع والقهر الذي كان يعانيه المواطن داخل وطنه، مشيداً إلى نضال الأجداد وتصديهم لمخططات العدو في ذلك الأمس المظلم، ومدى معاناتهم لكل مظاهر الظلم والاستبداد، فبنضال هؤلاء الأجداد ستشرق شمس الحرية من جديد.

### ثانياً: اللون الأحمر.

وهو من الألوان التي ظهرت في قصائد حسن صالح، ويُعد من أوائل الألوان التي عرفها الإنسان في الطبيعة، وذلك نظراً لارتباطه بأشياء طبيعية منها ما يثير البهجة والانشراح ومنها ما يثير الألم والانقباض عند عامة البشر<sup>(8)</sup>.

يُعد اللون الأحمر "الرمز الأساس لمبدأ الحياة بقوته، وقدرته، ولمعانه، هو لون الدم والنار، يملك دائماً نفس التعارض الوجداني لعنصري الدم والنار"<sup>(9)</sup>، وقد تكون دلالة اللون الأحمر رمزاً للحب والحياة العاطفية، وأحياناً يعطي معنى مغايراً لذلك، إذ يقول الشاعر في قصيدته (حكاية معيثة):

هناك في قرينها الأمانة الشجراء

كان أبوها في مزارع الكروم

ينظف الأصطبل والخيول

ويعصر الخمور

لسيد من الإيطاليين

منتفخ البطن وأحمر الخدين

وفي أصابع اليدين

خواتم ماسية، ترمقها العيون<sup>(10)</sup>.

يشير اللون الأحمر هنا في هذه القصيدة في قوله: (وأحمر الخدين) إلى الأجنبي الإيطالي الذي احتلّ الأرض العربية، وجعل شعبها خادماً له ممّا جعله شعباً منتفخ البطن يتمتع بخيرات هذه الأرض المحروم منها شعبها، وهو يعاني ويلات القهر والفقر والجوع الذي ألمّ به داخل وطنه.

ويقول الشاعر في قصيدته التي بعنوان (حكاية معيثة):

يا أرضنا الليبية السمراء

مازالـت الدماء

تضج في عروقنا من أجلك الدماء

تسيل في ثراك أنهرًا حمراء  
فلتهناي.. يا أرضنا الليبية السمراء  
فنحن شرفاء

والموت، للطغاة، والأعداء<sup>(11)</sup>.

يرمز اللون الأحمر في هذه المقطوعة الشعرية إلى الدم عندما قال: (أنهرًا حمراء)، دلالة على المجازر التي يتعرض لها الأطفال الأبرياء داخل أوطانهم من قبل غزو الأعداء لهم، وهذا ليس بمستغرب على شاعر يرفض الظلم والاستبداد، فجعل من اللون الأحمر رمزًا لتجربته الحزينة في التعبير عن الإنسان المقهور.

### ثالثًا - اللون الأبيض :

وهذا اللون "مرتبط عند معظم الشعوب - بما فيهم العرب - بالطهر والنقاء"<sup>(12)</sup>، واللون الأبيض بصفة عامة يحمل معنى الإيجاب ظاهرًا ورمزًا عكس ما حمله اللون الأسود من دلالات، "وقد جاء في اللغة العربية لهذا اللون عشرات الألفاظ التي تحدد صفاته ودرجاته، فقال العرب: أبيض، وأكدوه بقولهم أبيض يقق، ويلق، ولياح، ومشرق، وبراق،... وقالوا للأبيض الخالص: الأزهر، والأغر، والأبلج، والأقمر، والنعج، والصرح، وللأبيض يخالطه شيء من الشقرة قالوا: أذهب وأعيس، وللأبيض يعلوه سواد: أملح وأشهب، وللأبيض يضرب إلى الخضرة: أبغث، وللأبيض القبيح أمقه وأمهق وأبرص..."<sup>(13)</sup>، ويقول حسن صالح في قصيدته التي بعنوان (رسالة من سجين عربي):

وتعود الذكرى، تعود بين السنون  
إليك يا سمراء يا ذات العيون  
النجل، والقلب الحنون  
فتطير روجي عبر أسوار السجون  
كحمامة بيضاء تهفو للركون  
هل تذكرين حمامتي ذاك الأصيل؟  
وكان رأسي فوق صدرك يستريح  
وروائح التفاح من نهديك في وجهي تفوح  
مازلت أنشقها هنا في السجن، ما زالت تفوح  
وإذا بباب البيت يدفعه الجنود  
وضابطان

قد صوبوا نحوي السناكي المشرعات  
مخضوبة بدم الرفاق الثائرين  
فصرخت في وجه الكلاب الداخلين  
(يا أيها الأوباش ماذا تبتغون؟)  
قالوا إلى السجن الكبير.. (14)

يرمز اللون الأبيض في هذه المقطوعة الشعرية إلى السلام الذي يتمنى الشاعر أن يسود وطنه الحبيب؛ ليعيش أهله في أمن وأمان، فهو يخاطب بلاده المحتلة الموجودة في قارة أفريقيا السمراء مناديا لها بأداة النداء (الياء) من خلال قوله: (يا سمراء يا ذات العيون) وهو أسير بين قضبان الحديد، مما جعله يسترجع ذكرياته وهو داخل وطنه فوق أرضه عندما قال: (فتطير روعي بين أسوار السجون، كحمامة بيضاء تهفو للركون)، فهو مشتاق لعبير أرضه الذي تفوح منه روائح التفاح العطرة، وهو لا يزال يستنشقه داخل السجن.

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (أغنية إلى فتاة من سوريا):

في فؤادي..

ولدت منذ هنيهات قليلة

زهرة للحب بيضاء بليلة

ونسيماتٍ عليه

وينابيع غزيرة

في جزيرة

شطها أسمر كالتربة في أرض بلادي (15).

وفي شطر آخر من ذات القصيدة يقول:

في فؤادي..

ولدت منذ هنيهات قليلة

زهرة للحب بيضاء نقية (16).

يشير اللون الأبيض في هذه القصيدة إلى براءة الأطفال، وهم ملائكة الرحمن مبتعدين عن الزيف والنفاق في زمن كثرت فيه الخديعة والرذيلة، إذ نلاحظ ذلك من قوله: (في جزيرة، شطها أسمر كالتربة في أرض بلادي)، فهؤلاء الأطفال الأبرياء هم زهور الحب البيضاء النقية.

ويقول الشاعر حسن صالح في قصيدته (حكاية معيتيقة):

إن دمدم الرعد وجادت السماء  
واجتاحت الأنواء  
قريتها الصغيرة الشجراء  
وارتجفت أكوأخها البيضاء  
ترتفع الأكف بالدعاء  
لخالق الكون، وباعت النماء<sup>(17)</sup>

يدل اللون الأبيض في قوله: ( أكوأخها البيضاء) على السلام الذي كانت تعيش فيه الطفلة معيئة مع أهلها في وطنها، وفجأة راحت ضحية عدوان صليبي غادر على أرض الوطن أودى بروحها التي أصبحت ترفرف عالية في السماء مجاورة لخالقها.  
**رابعاً - اللون الأصفر :**

ورابع الألوان التي ظهرت في شعر حسن صالح اللون الأصفر، "حيث تظهر الصفرة وصفاً لأشياء مادية حملت وجهين متناقضين، فهو في بعض الأحيان لا يخرج عن دلالة الشحوب والموت ونضوب العاطفة وعدم الجدوى والفائدة، وهذا يعكس النظرة التشاؤمية، والمزاج القائم الحزين"<sup>(18)</sup>.

ولا يوجد للون الأصفر إحياء ثابت له، تارة يستمد دلالاته من مظاهر الطبيعة كصفرة الشمس، وتارة من ألوان النباتات والثمار، دلالة على الخصب والخير الوفير، وتارة أخرى يستمد دلالاته من ذبول النباتات حين تجف ويميل لونها إلى الاصفرار<sup>(19)</sup>، وهنا يُعطي دلالة سلبية؛ لأنه لون المرض والانقباض. ويقول حسن صالح في قصيدته المعنونة بـ(بعد الطوفان):

هناك حيث تموت أصداء الأنين  
-عبر الأزقة- والسعال، وضجة المتوجعين  
وصياح آلاف الصغار الهائمين  
تحت النخيل، على ثمار فجة يتدافعون  
وتفوح رائحة الغسيل من الأزقة، والدجون  
وتطوق أشباح النساء الأمهات  
بأوجه صفراء تملوها الغضون  
وكشعر أمك وهي خلف القدر دامعة العيون  
يأتي الدجى القاسي فيحتضن التأوه، والأنين  
ويلف أحلام الصغار النائمين<sup>(20)</sup>.

تشير دلالة اللون الأصفر في هذا السياق إلى الذبول والانقباض نتيجة الفقر والجوع والقحط الذي ألمّ به داخل وطنه، إذ ينتظر الأمل الذي سيجدد الروح لهؤلاء الأطفال الصغار، وستشرق شمس الحرية وينجلي ظلام القهر والاستبداد، وستذهب كل الآلام والأحزان بعزيمة وإصرار المواطن، ونلاحظ ذلك من خلال قوله: (يأتي الدجى القاسي فيحتضن التأوه والأنين، ويلف أحلام الصغار النائمين)، فكان اللون الأصفر في هذه القصيدة يحمل دلالة سلبية.

وفي قصيدة (حكاية معينيقة) يقول:

وتصبح الحقول ذات يوم

تموج بالسنايل الصفراء

وتصبح الأجران

تطاول السماء

ويصبح الرغيف

حقيقة ناصعة، ببيضاء! (21).

يرمز اللون الأصفر في هذا السياق إلى الذبول والجفاف والمرض، فهذه الدلالة السلبية جعلت من غلاء رغيف الخبز حقيقة ناصعة البياض لا غبار عليها، ليزيد من قهر المواطن داخل وطن يتمتع بالخير الكثير.

#### خامساً - اللون الأخضر :

و" هو أكثر الألوان استقراراً في دلالاته، وهو من الألوان المحبوبة ذات الإيحاءات المبهجة" (22)، وهو من الألوان المفضلة التي تبعث في النفس الراحة والأمان، وقد استمدّ هذا اللون من الطبيعة وجمالها المتمثل في خضرة الأرض والأشجار دلالة على الخصب والنماء، واستخدم الشاعر هذا اللون بدلالات مختلفة، إذ يقول في قصيدة (الواحة):

البحر بيننا يفصل يا حبيبتني

والليل، والإعصار

وخلف مرفأ الأحلام يا حبيبتني قرصان

يلبد في انتظار

أشواقي التي تبحر للنهار

لكنما وأنت في البعاد

كواحة خضراء في القفار

يا طالما تسلق الفؤاد في إصرار  
مدارج البعاد، في إصرار<sup>(23)</sup>.

يسترجع الشاعر في هذا المقطع الشعري ذكرياته القديمة مع محبوبته، ويؤكد ذلك قوله: (كواحة خضراء في القفار) والقفار يعني الأرض الواسعة التي لا ماء فيها، وهي صحراء قاحلة، ويُقال لها أرض قفر، إذ شبه الشاعر محبوبته وهي (المشبه) بالواحة الخضراء (المشبه به) التي ترتمي وسط صحراء قاحلة واسعة، بأداة الشبه (الكاف)، إذ جعل هذه الصحراء تمثل قلبه وهو موضع الحب عندما قال: (يا طالما تسلق الفؤاد في إصرار) ليجعل وجه الشبه يتمثل في استرجاع ذكريات حبه وعشقه لمحبيبته على الرغم من بعد المسافة بينهما، فكانت دلالة اللون الأخضر هنا الأمل في اللقاء من جديد.

### الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج من أهمها:

- 1- استخدم الشاعر حسن صالح عددًا من الألوان في قصائده؛ نظرًا لما للون من دلالة جمالية في الشعر.
- 2- يستعين الشاعر بالألوان؛ ليعبر عن عمقه العاطفي وجوهره الفكري، وكأنه رسام عارف بخفايا الألوان، ودلالاتها وعلاقتها بالإنسان.
- 3- يعدُّ اللون من أهم ظواهر الطبيعة وأجملها، ومن أهم العناصر التي تشكل الصورة الفنية؛ لما يشتمل عليه من دلالات فنية ونفسية واجتماعية ورمزية، ولا بدَّ من ربط اللون بسياق النص الشعري؛ حتى يؤدي وظيفته.

## الهوامش:

- (1) هدية جمعة البيطار، الصورة الشعرية عند خليل حاوي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2010م، ص114.
- (2) أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1997م، ص45.
- (3) المرجع السابق، ص45.
- (4) حسن صالح، ديوان أغنية العاشق، وزارة الإعلام والثقافة، ط1، 1973م، ص32.
- (5) المصدر السابق، ص57.
- (6) المصدر نفسه، ص57-58.
- (7) نفسه، ص62.
- (8) يُنظر: أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص211.
- (9) كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 2013م، ص73.
- (10) حسن صالح، ديوان أغنية العاشق، ص82.
- (11) المصدر السابق، ص86.
- (12) أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص69.
- (13) عزة حسين غراب، الألوان ودلالاتها السياسية في العصر العباسي، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا - مصر، ع19، يناير 2006م، ص56.
- (14) حسن صالح، ديوان بعد الحرب، دار النشر الليبية، طرابلس، ط1، 1962م، ص47-48.
- (15) المصدر السابق، ص50.
- (16) المصدر نفسه، ص51.
- (17) حسن صالح، ديوان أغنية العاشق، ص81.
- (18) هدية جمعة البيطار، الصورة الشعرية عند خليل حاوي، ص120.
- (19) ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص214.
- (20) حسن صالح، ديوان بعد الحرب، ص66.
- (21) حسن صالح، ديوان أغنية العاشق، ص81-82.
- (22) أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص210.
- (23) حسن صالح، ديوان أغنية العاشق، ص105-106.